جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

شاولا مناحيم

روان بوشا

فريد الفالوجي

أطلس

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن..فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

شاولا: كانت زوجة لأحد عملاء الموساد فى العراق، والاثنان من يهود العراق واستطاعت أن تستخدم جسدها للحصول على المعلومات والأسرار المهمة لإرسالها للدولة الصهيونية فى فترة الستينيات من القرن العشرين، ووصلت بأساليبها الرخيصة إلى عدد من الشخصيات البارزة فى القيادة العراقية، ولكن واحداً من هذه الشخصيات ندم على فعلته واعترف للشرطة العراقية وأبلغ عن شبكة التجسس فاقتيدت شاولا وزوجها فيكتور وشقيقته مليكة إلى السجن، فانتحرت مليكة، وأعدم فيكتور وشاولا ومعهما عدد من أعضاء الشبكة.

روان: جندها زوجها اليهودى العراقى لخدمة الأهداف الصهيونية ليكونا معاً شبكة مخلصة للموساد، حيث أوقعت الكثيرين من رجال المواقع الاستراتيجية العراقية فى براثن غواياتها الشيطانية وأخرجت كل ما فى جعباتهم من أسرار ومعلومات تخدم الدولة الصهيونية ، وقدم الزوجان لإسرائيل من المعلومات المهمة ما لم يتوقعه أحد، كما استخدم الزوج مسدسه لتصفية عدد من الشخصيات المهمة التى رفضت التعامل مع الشبكة . وعندما افتضح أمر الجاسوسين، واعترفت روان بكل ما حدث منهما، قدما للمحاكمة التى نتج عنها إعدامهما شنقاً.. وهذه هى نهاية الخيانة.

الناشر



ISBN 977-399-042-7



مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

قتلهن الحب وقهرهن التاريخ

شاولا مناحيم
روان بوشا

فريد الفالوجي

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢ - ٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. نستعرض معا قصتان لفتاتين من يهود العراق ، تم الزج بهما فى أتون الجاسوسية ! حيث عملتا لصالح الموساد فى تهريب اليهود العراقيين إلى خارج الوطن ، وإمداد إسرائيل بأسرار العراق العسكرية .. وجاءت نهايتهما على أبشع ما يكون الوصف ..!!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

شاولا مناحيم



ورأيتها .. كالبدر كان جمالها يسبى النَّظَرْ
وأنوثة قد أينعت تشعُّ منها وتنفَجِرْ
مسَّت يدى، فتفجَّرت حِمَم الرغبات تنتشرْ
قالت: «أريك والجسد طوع البنان ينتظرْ
فاسقِنيهِ ليس يُجدى الصمت وفى جسدى وَطَرْ
هيا ارْوِنِى ، فبى ظمأ يُكابدنى فاستجر
واظفر به أنت الذى قد كنت أول من ظَفَرْ»
خارت قوايا للأبد بين السَّعير المنصهر
لأفيق عند سجَّانى يلفّ عُنقى ويعتصر..!!

شايلوك العراقى(*)

أمام تساقط شبكات الجاسوسية فى العراق، لم تقف إسرائيل مكتوفة الأيدى، بل أعادت تنظيم شبكاتها العاملة، ورتبت صفوفها لسد ثغرات الضعف التى تسقط بسببها فى قبضة المخابرات العراقية.

لقد كانت أهم أهداف الجاسوسية الإسرائيلية فى العراق حتى أواخر الخمسينيات، تهريب اليهود العراقيين إلى إيران ثم جوا لإسرائيل من هناك. لهذا السبب تنوعت شبكاتها من يهود العراق ومن سائر الملل.

ففى منتصف الستينيات، وبعد تهريب أعداد هائلة منهم، اتخذت الجاسوسية مسارات أخرى تخدم مصالح إسرائيل وأمريكا، فازداد بشكل ملحوظ الاهتمام بالنواحى العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، والتغلغل السوفييتى فى العراق. إذ كانت هناك نوايا سيئة رتبت لها أمريكا بدفع إسرائيل لتحطيم قوة العرب والإجهاز عليها.

(*) نشرت فى عدد ٨ يوليو ١٩٩٨ من جريدة «اللواء العربى» ، الحلقة رقم (٤٥) ضمن سلسلة حلقاتنا «المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين» .

في ذلك الوقت كان العراق ينمو نموا كبيرا فى مجال التسليح، الذى استحدثت معداته وأدواته بشكل أخاف إسرائيل، برغم عدم اشتراك البلدين فى الحدود أو الجوار، إلا أن هذا النمو العسكرى السريع، ألقى ظلالاً كثيفة على حجم المساعدات السوفييتية والشرقية فى مجال التسليح، ليس للعراق فحسب، وإنما لمصر وسوريا أيضاً، مما يهدد التواجد الأمريكى بالمنطقة العربية، وأمن إسرائيل كذلك.

وببذخ شديد، أنفقت إسرائيل على شبكات الجاسوسية على الدول العربية، لنخل المعلومات الاستراتيجية، ولمعرفة أدق التفاصيل.

كانت الجاسوسية الإسرائيلية فى العراق، تعتمد غالبا على خونة من اليهود، فعلى عاتقهم قامت شبكات تضم أعدادا كبيرة من الجواسيس، وصلت فى إحداها إلى ٣٦ جاسوساً، سقطوا جميعاً فى قبضة الأمن العراقى عام ١٩٦٨.

ومن الغريب حقاً، أن نلاحظ فى الجاسوسية الإسرائيلية فى العراق، أن الجواسيس الذين يعملون بمفردهم تقل أعدادهم إلى

درجة الندرة، قياسًا بمصر مثلاً[1]، ويرجع ذلك إلى وفرة اليهود بالعراق بأعداد هائلة «حوالى ٨٠ ألف يهودى» ، آمن غالبيتهم بأن مساعدة إسرائيل نوع من التضحية فى سبيل الوطن الجديد، وانتشرت بينهم مقولة «اليهودى المتدين لا يبخل على إسرائيل بماله وروحه» .

وتحت هذا الشعار الرنان الذى روجت إسرائيل له، تكونت منهم عن قناعة العديد من الشبكات التى عملت بتفان وإخلاص ، حتى أنهم لم يبخلوا بأجساد بناتهم وزوجاتهم تتويجاً لشعار الوطنية والتدين، وقدَّمُوهن على موائد الجنس وليمة رخيصة شهية، لاصطياد العراقيين ذوى المراكز الهامة فى شتى المواقع والمؤسسات.

ومن أشهر الشبكات التى طبقت الشعار الإسرائيلى .. شبكة «فيكتور عيزرا مناحيم» ، الذى لم يكن وقتها يملك مالاً يقدمه لإسرائيل، فقدم بدلاً منه جسد شقيقته وزوجته، ثم قدم روحه

---

(١) كان بمصر العشرات من الجواسيس الذين يعملون بمفردهم دون الالتجاء إلى تكوين شبكات جاسوسية.. ولعل أشهر الأسماء الجاسوس: «شاكر فاخورى»، و«نبيل النحاس»، و«رجب عبد المعطى»، و«محمد كامل» وغيرهم. ولمزيد من التفاصيل عن هؤلاء الخونة ، أنظر كتابنا (جواسيس الموساد العرب) عن مكتبة مدبولى ، القاهرة .

بعد ذلك ليكمل تطبيق الشعار.

ولد فيكتور عام ١٩٣٤ بمدينة «المسيب» ، على بعد ٤٠ كيلو مترا جنوبى بغداد.

وكان أبوه عيزرا مناحيم ، وهو تاجر نحاس ، مرابياً كبيرا، فاق مكر «شايلوك »اليهودى الشهير فى مسرحية وليم شكسبير «تاجر البندقية» [1] .

سر انفتاح الأبواب

استغل عيزرا حاجة الناس وظروفهم وكبلهم بصكوك الدين والفوائد الخيالية لأمواله، فحرقوا منزله عام ١٩٥٥ لتأكله النيران وتتفحم معه زوجته وصكوك الديون، وينجو ابنه فيكتور وأختيه الطفلتان مليكة «١١ عامًا» ، وتمرة «٩ سنوات» . فيشد الرحال بهما إلى بغداد هرباً من كراهية الناس.

هناك .. استأجر مسكنا متواضعًا فى أحد الأحياء الشعبية

---

(١) اظهر شكسبير فى مسرحيته من خلال شخصية «شايلوك» مدى قذارة أخلاق اليهود ومسلكهم الاستغلالى فى الربا فى كافة المجتمعات التى يتواجدون بها. ولعقود طويلة خلت، عمل اليهود على محاربة المسرحية بحرق نصوصها، وتهديد الناشرون والمجلات الأدبية التى تتولاها بالتحليل والدراسة ، وكذا المعاهد الفنية التى تدرسها لطلابها ، إضافة إلى المسارح التى تعرضها فى محاولات مستميتة للحد من انتشارها.

الفقيرة، ويستغل الشهادة الابتدائية التى حصل عليها للعمل فى قسم الأرشيف بوزارة الصحة.

وكيهودى يبحث عن نقود يعلم جيدا أنها عماد الحياة فى المدينة الكبيرة، استطاع بعد سنوات أن يدخر عدة دينارات، اشترى بها بعض الأقمشة من تاجر إيرانى اسمه «سليمانى بنائى» كان يفد إلى بغداد كل شهر ببضائعه.. وكتب له إيصالاً بالمبلغ المتبقى لحين الزيارة القادمة.

ولأنه كان تاجرا جديدا لا يدرك أساليب التجارة وتقلبات السوق واحتياجاته، خسر فيكتور فى أولى تجاربه، إلا أن سليمانى لم يمارس عليه ضغوطه، بل أمده ببضائع جديدة إلى أجل رغبة فى استمراره فى نشاطه ، ولما أيقن فيكتور عمق شعور التاجر الإيرانى تجاهه ، دعاه لزيارته ببيته، فلبى سليمانى الدعوة، وبدأت منذ تلك الزيارة أحداثا كثيرة تتشكل، لتصنع فى النهاية قصة عجيبة من قصص الجاسوسية والخيانة.

ذلك أن سليمانى لم يكن سوى عميل للمخابرات الإسرائيلية ، يتخذ من تجارة الأقمشة ستارا لعمله مع الموساد، وأحياناً كثيرة كان يعمل كصائد للجواسيس فى العراق، لاعتياده التعامل مع العراقيين من اليهود الفقراء ومعرفة الكثير من أسرارهم

وخباياهم.

ولد سليمانى فى كرمنشاه بإيران لأسرة يهودية متوسطة الحال، يملؤه اليأس الشديد لعجز والده عن تدبير حياة أفضل لأسرته كبيرة العدد.

فشب منذ ذلك الحين ناقماً على حاله كيهودى يعيش فى مجتمع منغلق[1] وسط بنى جلدته، وعندما قرر أن يغامر بعيداً فى طهران، اصطاده عميل للموساد ودربه ليمارس تجسسه على العراق.

ولما تقابل مع فيكتور ، نصب شباكه حوله منذ اللحظة الأولى، فقد كان سليمانى يتمتع بأنف كلب صيد مدرب، يميز جيداً ويشم نقاط ضعف فريسته. إذ اكتشف أن المال هو ما يسعى إليه فيكتور وينشده . ومن هذا الاتجاه بدأ فى محاصرته والالتفاف حوله.

وفى منزله تحول صياد الموساد الماهر، إلى فريسة ضعيفة أمام

---

(١) اعتاد اليهود العيش بين الأمم فى أحياء مغلقة عليهم تسمى (جيتو) وظلت هذه العادة قائمة لم تتغير ، حتى بعدما بدأوا الهجرة إلى فلسطين قبل إعلان دولتهم ، عاشوا هناك فى مزارع جماعية مغلقة عليهم تسمى (كيبوتسات) ، حيث يزرعون الأرض ويقيمون المشاريع التى تدار بشكل جماعى فيما بينهم .

«مليكة» التى تعدت العشرين بقليل، فقد استدار جسدها العريض، ونحت تضاريسه فوران الصبا والنضوج، وضجت أنوثتها تعلن فى صراحة عن نفسها.

فيكتور اليهودى وجدها أيضاً فرصة سانحة لتتسع تجارته، إذ ألح لشقيقته أن تتلطف مع الزائر المهم، ولا تبخل عليه ببشاشتها ورقتها.

فاستجابت مليكة لأوامر شقيقها، وأعطت سليمانى بسخاء كل شئ على طبق من رضاء ..

وهذا أمر ليس بجديد ، فاليهودى - فى كافة المجتمعات - لا يعترف بالشرف أمام مصالحه وطموحاته ، مادام جسد ابنته أو أخته أو حتى زوجته ، سيفتح له باباً موصدا ، ويمهد له طريقا آمنا يوصله إلى مآربه وغاياته.

اليهودى وجسد أخته

إن تاريخ اليهود المدنس يفضح هذا المسلك الشائن، الذى انتهجوه دائماً فى معاملاتهم مع المسلمين والمسيحيين فى فلسطين قبل إعلان قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨.

لذلك فلا عجب أن يضحى فيكتور بجسد شقيقته مليكة . لكن يهودياً وعميلا محترفاً مثل سليمانى، لم يكن ليقنع أبدا بجسد مليكة مقابل ديون تافهة ، فهناك مكاسب أخرى عديدة تنتظره، إذا ما جند فيكتور لصالح الموساد.

وبعدما ذاق عميل الموساد القطفة الأولى وغرق فى لذائذها العامرة، ترك الفتاة تلعق رغباتها بداخلها، رغبات ملتهبة محمومة ذات لسع جنونى، استيقظت للمرة الأولى على يديه، تعلن حاجة الجسد الظامئ إلى من يفك طلاسمه دائماً، ويؤجج فيه النيران ويطفئها.

وفى الوقت الذى تصور فيه أن مليكة سيطرت بإحكام على مشاعر التاجر الإيرانى ، انزعج فيكتور عندما طالبه سليمانى بغتة بأمواله لديه .

فسأل مليكة:

ـ «هل أغضبت الرجل؟»

فأقسمت بأنها فعلت كل شئ لإرضائه.

واحتار فيكتور أكثر ..

وتساءل :

ـ ماذا يريد سليمانى إذن؟

وما إن عاد الإيرانى حتى سأله عما بدَّله .. فضحك الصياد لفريسته وقال:

ـ «إنه السوق لا أكثر يا صديقى» .

استبد الحزن بفيكتور الذى لا يملك مالاً كافياً يفى بالدين، وكان يظن أن دائنه سيصبر عليه، أو يسقط جزءً من الديون مقابل جسد أخته ..

لكن خاب ظنه.!!

لم يكن عقله الصغير يدرك بعد أن عالم الجاسوسية ملئ بالغموض والخفايا، مهما كانت الأجساد ملتهبة مثيرة . فهو عالم خاص له قوانينه التى لا تعترف بالمشاعر، او العواطف. ذلك لأن

مقاييس علاقاته ترتبط أولاً وأخيرا بالأهداف .. والمصالح .. والمكاسب.

وأمام ضغوط الدائن اليهودى الماكر، وافق فيكتور على سرقة عدة مستندات من وزارة الصحة، تبين خطة الدولة لاستيراد الدواء .

كذلك استولى على تقرير هام يناقش المتطلبات المستقبلية للمستشفيات المركزية وحاجاتها لاستحداث أقسام جديدة. وفى اليوم التالى أعاد فيكتور المستندات إلى أماكنها بعدما صورها سليمانى بنفسه.

حرفية فن التجسس

كان هذا أول اختبار عملى لفيكتور تأكد بعده نجاحه بجدارة، تلاه اختبار ثان وثالث ورابع، وكانت المحصلة فى النهاية إسقاط الديون كلها عنه، ومنحه مائة دينار مكافأة.

وكان من الطبيعى أيضا ، أن يفتح هذا المقابل الضخم شهيته للمال السهل على مصراعيها .

لذلك نراه وقد انغمس شيئاً فشيئاً فى الخيانة والجاسوسية، فقد أقنعه سليمانى بأن اليهودى المتدين لا يبخل على إسرائيل

بماله وروحه، وذكره بأن العراقيين أحرقوا أباه وأمه أحياء وشَرَّدوه مع أختيه.

كان سليمانى يثير أعصابه فى كل وقت عندما يذكره بحادث مصرع والديه ، ولا ينفك ينفث فيه دائماً سموم الكراهية تجاه العراق، فضلاً عن الإشادة فى كل وقت بأموال إسرائيل التى منحها له مقابل الوثائق «الهزيلة» التى لا نفع منها ، لكنها برغم تفاهتها «قد» تقوده إلى حبل المشنقة كما كان يلمح عميل الموساد لإحكام السيطرة على أعصاب فيكتور .

فكان لتهديد سليمانى المغلف، بالإضافة لجرعة الإثارة السابقة، فعل السحر عنده فيكتور مناحيم، خاصة وقد وعده عميل الموساد بالثراء الفاحش، وبالأموال الطائلة التى سيمنحها له وطنه الأول - إسرائيل - مقابل خدماته الجليلة التى ستضمن حياة كريمة له ولأختيه.

وفى سباق مع الزمن، أخضع فيكتور على يد عميل إسرائيلى لدورة تدريبية أولية، تعرف خلالها على أهداف التجسس الإسرائيلى على العراق والدول العربية، وواجبه كيهودى إزاء التكتل العربى ، عسكريا وسياسيا ، الذى يهدد الوطن (إسرائيل)، ومنهاجه فى التجسس لاستكشاف الأسرار العسكرية المختلفة فى العراق بمساعدة أختيه.

واستكملت الدورة بتعليمه حرفية فن التجسس، ووسائل اختراق المنتديات الاجتماعية الحصول على أدق الأسرار .. بأى ثمن.

كما حاضر له سلمانى كثيرا عن أساليب السيطرة والإخضاع، وتلقط المعلومات من السكارى ذوى المناصب الحساسة، أولئك الذين يفاخرون بمناصبهم وبأهميتهم، وما يملكون من أسرار خطيرة.

الزائر الغامض

استوعب فيكتور الدروس جيدا وشرع فى الحال ينظم حياته الجديدة المقبلة، يتوج عقله هاجسا كبيرا بأنه وطنى مخلص، يسعى لخدمة وطنه من الخارج، ومن الواجب عليه أن يضحى بكل شئ لصالحه حتى وإن كانت رقبته هى الثمن..

إذن .. فجسد أختيه أقل القليل قياساً برقبته. هكذا فكر واقتنع، وكان من المستحيل أن يتراجع ، فصراخ والديه والنيران تأكل جسديهما لا يزال حادا فى أذنيه، وفرحة العراقيين بحرقهما مشهد لن ينساه أبد الدهر ..!!

كان الربيع فى بغداد يضحك وقد كسته حلة من بهاء، ترفل

الحقول بها والزروع والطيور والسماء، ونسائم الورود يفوح منها عبق مشاعر، تداعب الخيال، تلثم صفحة دجلة فتطرب الأمواج وتبعث راحة سرمدية تسر النفوس، وتدغدغ أحلام الشعراء والعشاق.

كان فيكتور لا يرى روعة الطبيعة حواليه، عندما جلس بشرفة منزله الجديد، غارقاً فى سهومه، كشاعر قريحته حبلى بالقريض، تصل لأذنيه بين فينة وفينة ضحكات خليعة من الداخل.

مرقت بالقرب منه حدأة أخرجته من شروده، فانتبه إلى شبح الزائر المجهول يخطو فى حذر تجاه منزله، ولم تمر دقيقة إلا وسمع طرقات ثلاث على الباب، وعندها فتح مطمئناً، فكل الأمور تجرى بتخطيط دقيق.

تبعه الزائر إلى حجرة داخلية، وأخذ يحدق فى زواياها بعينى فاحصة، فأخرج فيكتور من حقيبته كاميرا دقيقة سبق له أن تعلم استخدامها، وتناولها الزائر وقام بتثبيتها فى براعة، بحيث لا تبدو واضحة .

بعدها انصرف كما جاء فى هدوء.

ذلـيل الرغـبة

كـان قـد مـر عـام ونصف العـام، منـذ دخـل فيكتـور إلى عـالم الجاسوسية على يد سليمانى عام ١٩٦٣. ولم تكن المهام التـى أوكلت إليه خلال تلك المدة صعبـة تضطـره لأن يقـف أمامـها عـاجزا، بـل كانت برغم بساطتها على درجة كبيرة من الأهمية.

لقد انخـرط فـى الجاسوسـية بكـل كيانـه، وأصبـح ذا شـأن فـى عالمها السرى المعقد، تنتظره مرحلة جديدة فى عملـه التجسسـى، يؤكد من خلالها مدى جهاده وتضحياته.

بعد الانتهاء مـن تثبيـت الكامـيرا وتجهيز الغرفـة ، نـادى على شقيقته مليكة ليستعرض معها خطة العمـل، وأهميـة دورهـا فـى السيطرة على «الهدف» الأول لتجنيده.

بدت الفتاة شديدة الاقتناع بالدور الذى ستقوم به، بل يملؤهـا حماس لا حدود له لتحقيق هدفين معًا، وهما استعراض مفاتنـها لإغـواء رجـل مـهم، وتـذوق لحظـات متعـة حرمــت منـها بعدمـا هجرها سليمانى وانقطع عن زيارتهم.

وكأنـها عـروس تنتظـر عريسـها الحبيـب، استقبلت «سـعدون

الناظم» الموظف الكبير بقطاع الإمداد بالجيش العراقى، ذلك الباحث عن الفتيات الصغيرات ، والذى اصطاده شقيقها وجره إلى الكمين المعد له بمنزله.

وبعد عدة كئوس مثَّل فيكتور دور الثمل ببراعة، فساعدته مليكة للوصول إلى سريره، وعادت إلى سعدون المتقد وقد نطقت نظراته بضجيج بالرغبة وأفصحت.

فمارست رغبتها كأنثى فى التدلل والتمنع، لكن ذلك ما أزاد إلا من طفح إثارته .

ولم تكن مليكة البضة الفاتنة بحاجة لوقت أطول لتطويعه، فالرجل الذى تعدى السابعة والأربعين، تحول فجأة إلى طفل صغير، ليس بمستطاعه أن يكبح جماح رغباته، لذلك كانت تنهره برفق ليغوص فى ضعفه، وليركع تحت قدميها ذليل الرغبة التى طيرت عقله.

وخاضعاً .. قادته إلى حجرة النوم، وعلى فراشها أخذ يحسو قطوفا من اللذاذات السرمدية فلا يشبع أو ينتشى، وتدور عجلة الجوع تفركه فركا بين أسنانها، فيعتصر رجولته النازفة فى توحش وجنون.

كل ذلك كان يتم فى حجرة ملغومة بآلات التصوير والتسجيل، وتتناثر أحاديث الوسادة ملأى بالأسرار والمعلومات .. وقد يظهر أهميته أمامها بالكثير من السباب لقادة الجيش ورجال الحكم . وكان ذلك فى بلد دكتاتورى النظم معناه الإعدام رميا بالرصاص لا محالة ..!!

العضوة الجديدة

ذاب سعدون عشقًا .. وخيانة.

ولم يهدده فيكتور بتسجيلاته المثيرة أو بصوره العارية مع مليكة، ذلك لأنه خضع تماما أمام جبروت جمالها وفتنتها، ونثر بين أحضانها ما خفى من أسرار ووثائق.

المثير أنه تعاون مع شبكة فيكتور بأمانة شديدة، جعلته يجلب صديقاً له برتبة نقيب فى إحدى القواعد الجوية، «اسمه شكرى حنا»، فيقدم له فيكتور شقيقته الصغرى «تمرة» .

تلك الطفلة التى نفر صدرها قليلا واعتدل شبابها الربيعى الزاهى، معلناً عن أنوثة مبكرة لمراهقة تودع مرحلة الطفولة، وتتشكل لديها أحاسيس جديدة لم تكن تدركها من قبل.

انقض شكرى على جسد الفتاة البكر يختال برجولته ويزهو، ويصوم عقله عن التفكير.

إلا أن «المرأة» الصغيرة قليلة التدريب والخبرة تعجلت الأمر، وصارحته ، بعد عدة لقاءات ملتهبة ، برغبتها فى الحصول على معلومات عسكرية.

عند ذلك أفاق شكرى من حلمه ونشوته، وأدرك المصيبة التى حلت به.

وعندما أراد الضابط العسكرى تصحيح موقفه، كانت الصور الفاضحة والتسجيلات التى ووجه بها، عقبة عاثرة أحالت بينه وبين الرجوع. فسقط مترنحاً فى مصيدة الجاسوسية يتعاطى الجنس مع تمرة، ويزودها بأدق الأسرار العسكرية التى فى متناول يده.

ومن خلال هذين العضوين المهمين، انتعشت شبكة فيكتور بالمعلومات الغزيرة، وبأموال الموساد..!!

العروس الجديدة

ماهر جدًا عندما سيطر تماماً على شقيقتيه، إذ أقنعهما بحاجة الوطن الجديد - إسرائيل - إلى جهاد اليهود فى كل بقاع الأرض ليقوى ويشتد، ولا يمكن أن يتم له ذلك إلا من خلال التضحية والفداء.

هكذا ملأ قلبيهما كراهية للعراقيين الذين فتكوا بوالديهما حرقاً. إلا أن تمرة الصغيرة تمردت على مهنتها كعاهرة لحساب الموساد، استطاعت إغواء وتجنيد ثلاثة عسكريين فى غضون ستة أشهر.

ولما ارتبطت بعلاقة حب مع شاب مسيحى أردنى يدرس الطب بجامعة بغداد، رأت تعنتا من أخيها، فهربت مع حبيبها بأوراق مزورة إلى عمان.

ولظروف العمل .. كان لابد لفيكتور من البحث عن أخرى تعاون مليكة، فالمترددون على المنزل كثيرون جدا، ولا تستطيع وحدها تلبية «طلباتهم» أو إرضائهم.

لذلك فقد رأى فى الزواج من فتاة يهودية أصيلة حلاً مقنعًا،

فاختار شاؤول «شاولا» المتعصبة دينيًا ابنة العائلة المحافظة المتزمتة، والحريصة على ارتياد المعبد اليهودى بانتظام كل يوم سبت .

وكان اختياره لشاولا منطقياً جدا من وجهة نظره، فتدينها سيسهل كثيرًا مهمة التعاون عن قناعة ويقين ، وسرعان ما تزوجها وانتقلت للإقامة معه بمنزله.

بعد أيام قليلة زارهما سليمانى ليبارك الزواج، وانفرد بفيكتور ناصحًا إياه بالتروى قبل مصارحة زوجته بنشاطه ، كى لا تطيح به وبشبكته.

فالفتاة الأكثر رقة وتدينا ستصدم حتماً إذا ما اكتشفت الحقيقة، لكن فيكتور كان يرى العكس تماماً.

وصح توقعه عندما سنحت الفرصة وقص عليها سيرة حياته، وما فعله العراقيون بوالديه ، يومها لم يستطع كتمان معاناته وبكى متأثرا على صدرها فبكت لأجله، وطلبت منه أن يصبر وينسى، ولم تكن تملك وقتها إلا مشاركته همومه ..!!

ولما جاءت اللحظة الحاسمة .. وكان قد هيأها نفسياً وأخضعها تماماً .. رحبت على الفور بالتعاون مع الموساد، ومنح جسدها لكل

من يريد خدمة للوطن وللدين .

عند ذلك ، تعهدت بها مليكة الخبيرة، فدربتها على فنون الإغواء والسيطرة بالجسد.

شاولا ونهيرة

تعهد فيكتور بمهمة اصطياد ضعاف النفوس، وجلبهم إلى منزله، فلا يخرجون إلا ورؤسهم قد فقدت العقل والتركيز، بعضهم سقط صاغرا أمام موجات النشوة المتلاحقة، وآخرون أفاقتهم الصدمة الفجائية فتمردوا حيناً، ثم انهارت مقاومتهم أمام التهديد والوعيد وإغراءات الجنس والمال.

ومن أغرب قصص تجنيد العملاء، التى سجلها لنا تاريخ الجاسوسية ، قصة شاولا و «نهيرة» زوجة «مكرم الصو» ، الموظف بإحدى الجهات السيادية بالعراق.

حيث تعارفا بأحد المحلات العامة وتجاذبا أطراف الحديث، وبعد لقاء آخر أيقنت شاولا أن نهيرة تعانى من مشاكل مالية، فضلاً عن إحساسها بالميل إلى النساء «الجنسية المثلية» [1] ،

---

(١) الجنسية المثلية Homosexuality ـ اختيار أعضاء نفس نوع الفرد موضوعا للجنس. ويشكل هذا الأمر من وجهة نظر الطب النفسى أهم واخطر انحرافات =

فأتاحت لها فرصة إخراج ما عندها من رغبات مكبوتة عندما استدرجتها إلى وكر الجواسيس.

وفى حجرة التصوير المغلقة، شكت لها شاولا إهمال زوجها هى الأخرى، وبأنها تكاد تشمئز من رائحة فمه وجسده ، وما كان ذلك إلا إحباكا للخطة التى رسمت بدقة .

استجابت المرأة الشاذة للعميلة الماكرة المدربة . وبعد عدة لقاءات مخلة صورت كلها، رضخت نهيرة فى النهاية تحت التهديد ، وبدأت تفتش أوراق زوجها وتتنصت على مكالماته التليفونية وحواراته مع زملائه، لتنقل ما تحصل عليه من معلومات إلى شاولا التى احترفت التجسس، وسعت بشتى السبل لتجنيد مكرم نفسه.

= السلوك الجنسى، ليس فقط لأن العلاقة الطبيعية هى تلك التى تقوم بين اثنين من الجنسين، بل لأنها أكثر الانحرافات شيوعًا فى كل الأزمان والمجتمعات، ويتحول إليها الكثير من الأفراد الذين يعتبرون أسوياء ناجحين، بل عباقرة، لولا هذا الانحراف فى شخصياتهم. والجنس المثلى ليس فقط ضحية تنشئة اجتماعية، بل هو فريسة الصراع بين الميول الشاذة ومعايرة المجتمع د. كمال دسوقى : علم الأمراض النفسية ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٤ .

سقوط وانتحار

مارست شاولا ضغوطاً عصبية قاسية على نهيرة، أوصلتها إلى درجة الانقياد التام لأوامرها، فمهدت لها الطريق الذى كان سهلاً، وهيأت المناخ المناسب لولادة علاقة جنسية حميمة بين عميلة الموساد وزوجها مكرم الصو الذى صعق وارتج مذعورا، رافضاً بشدة أن يدخل مصيدة الجاسوسية.

لكن امرأة شرسة مثل شاولا، تمارس الجاسوسية عن عقيدة وإيمان، لم تكن لترضى بالهزيمة أبدًا.

إذ تنفست الصعداء وقامت على الفور فأخرجت مظروفاً كبيرا به صور لأوراق ووثائق هامة كانت تحت يده، كما نثرت حوله العديد من صوره فى أوضاع شاذة معها، وأسمعته صوته الذى كان واضحا وهو يسب قيادة بلده، العسكرية والسياسية[1]، مفضياً بأسراره كمسيحى يشعر فى قرارة نفسه بالدونية.. والاضطهاد من رؤسائه فى العمل.

---

(١) كان هذا السبب وحده كافياً للإطاحة برقبته، فى بلد كانت الوشاية فيه بدون أى دليل ، تذهب بالرجال إلى ما وراء الشمس كما يقولون..!!

حينئذ ارتسمت على وجه مكرم علامات الرعب والفزع، وانزوى كطفل يبكى مستعطفاً ألا تفضحه.

فتركته شاولا عدة أيام وكانت على ثقة بأنه سيحاول شراء عمره واستيعاب الأمر.

فى تلك الفترة وقعت نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وانهزم العرب هزيمة فادحة أحبطتهم، وأشعرتهم بما يشبه العجز أمام جيش اليهود، واحتلت إسرائيل أراضٍ عربية جديدة، تؤكد باحتلالها مدى الضعف العربى.

وكانت صور آلاف الأسرى العرب لدى إسرائيل فى صحف العالم، تمثل قمة المهزلة والمهانة، فقد كان بعضهم يبكى فى فزع، رافعًا يديه مستسلماً ممزق الثياب، حيث استغلت إسرائيل هذه الصور لإقناع العالم بقوتها وهيمنتها على المنطقة.

أيضا ، كان لانتصار إسرائيل الأثر الأكبر فى رفع الروح المعنوية لجواسيسها فى الدول العربية.

إذ اتصلت شاولا بمكرم وأمرته بمدها بتقارير استراتيجية هامة عن آثار الهزيمة، والرؤية الجديدة التى تمثلها إسرائيل لدى

القيادة العراقية، وكذا حجم الإمدادات العراقية من سلاح وخلافه لدول المواجهة.

ومضطر، أمدها بما أرادت.

وكان ما يحير شاولا هو اختفاء نهيرة فجأة، لكن العثور على جثتها معلقة بملاءات السرير بسقف حجرة نومها، آثار العديد من التساؤلات لدى الشرطة، وشاولا فى ذات الوقت.!!

إخلاص الخونة

وبعد تحقيقات وتحريات ، نفت تحريات الأمن شبهة القتل الجنائى، وسجلت الجريمة انتحارا بسبب الاكتئاب النفسى الذى كانت تعانى منه نهيرة خلال الفترة الأخيرة، وترددها على عيادة طبيب نفسى معروف.

وبسبب هذا الحادث المفجع ابتعد مكرم عن شبكة فيكتور مؤقتا ، تقهره آلام فراق زوجته وتقتله الوحدة، وبرغم اضطرابها الشديد من جراء الحادث ، انشغلت شاولا مع فيكتور ومليكة فى إعادة تنظيم الشبكة، وأسلوب الاتصال بالعملاء، وتصنيف المعلومات حسب أهميتها قبل إرسالها للموساد.

وأيضاً .. وضع تصور عام يشمل خطط العمل التجسسى للمرحلة المقبلة.

وكانت أولى الخطط التى اتفقوا عليها، تغيير المسكن بآخر أكثر أماناً وروعة، والإقلال من أمر تجنيد العملاء بواسطة الجنس والتهديد، مع التركيز على الحفلات غير المنتظمة التى تقام للضيوف الذين يتم انتقاؤهم لالتقاط المعلومات منهم بعدما تتمكن الخمر منهم.

فى تلك الحفلات الليلية المتحررة الجريئة حيث تنفك عُقد الألسنة، كانت شولا «شاولا» تبرز فتنتها، بحيث تظهر بملابس شبه عارية تذيب العقول .

أما مليكة ، فمارست هوايتها فى الرقص الشرقى بحركات مثيرة فاضحة.

ومع الرقص والخمر واللحم العارى فى مجتمع شرقى ملتزم، كان من الطبيعى أن تصاب العقول بالدوار، فتفصح عن الكثير من الأسرار والمعلومات.

وتحولت الحفلات شيئاً فشيئاً إلى حفلات سكر ماجنة، يمارس أثناءها الهوس الماجن بشكل جماعى مع شاولا ومليكة، وفتيات

صغيرات أخريات يسعين للبحث عن المال ، تم اصطيادهن لإرواء نهم الضيوف .

لقد كانت شبكة فيكتور مناحيم أولى شبكات الموساد فى العراق، التى استخدمت سلاح الجنس فى الحفلات الجماعية، كإحدى الوسائل السهلة لمعرفة أثمن أسرار الدولة والجيش، وتفوقت بذلك على شبكة وولفجانج لوتز - جاسوس الشمبانيا[1] - الذى كان يضحى بجسد زوجته أيضاً، وسقطت شبكته فى القاهرة فى ٢٢ فبراير ١٩٦٥ .

مال ... ونساء

بعد فترة من العمل ، اختفى سليمانى صائد الجواسيس وحل محله إيرانى آخر اسمه «عبد الزهرة»، كانت مهمته نقل الوثائق والتقارير إلى مكتب الموساد فى إيران، وجلب آلاف الدينارات إلى

---

(١) إسرائيلى جاء إلى القاهرة بأوراق ألمانية، أقام نادياً للفروسية وتعرف من خلاله على العديد من ضباط الجيش ورجال الصفوة، وقدم لهم جسد زوجته الألمانية لاستدراجهم والحصول على معلومات عسكرية منهم، وكان له الدور الكبير فى تهديد العلماء الألمان بمصر، سواء بالخطابات المفخخة أو خلافه، وأمكن إلقاء القبض عليه والعثور على أدوات التجسس. وبعد نكسة ١٩٧٦ بادلته مصر بالعديد من الضباط المصريين الأسرى فى إسرائيل.

فيكتور ليستعين بها فى شراء الذمم، والإنفاق على حفلاته الماجنة لجلب المعلومات .

اشتهرت الاستخبارات الإسرائيلية بأنها تسعى دائماً إلى إثباتات ووثائق ، من أكثر من مصدر ، تؤكد صدق تقارير عملاءها وجواسيسها فى كل الدول العربية.

ويعتقد ضباط الموساد أن العملاء العرب ـ ولو كانوا يهودا ـ يميلون كثيرا إلى المبالغة، ويحجمون فى أغلب الأحيان عن إيراد التفاصيل الدقيقة.

لذلك فهم يحثونهم على توفير الصور والخرائط والوثائق التدعيمية الأخرى.

كما أنهم يقومون بعمليات تأكيد مزدوجة من التقارير، ويستخدمون عادة عملاء آخرين من نفس المنطقة، لتأكيد صدق المعلومات التى تصلهم.

ونظرا لعدم وجود مكاتب للموساد يديرها ضباط إسرائيليون فى البلاد العربية، أو جواسيس لإسرائيل يعملون تحت غطاء دبلوماسى، فالموساد كما يقول الأمريكيون :

ـ «ضعيفة فى الحصول على جواسيس فى وظائف عالية فى الأجهزة العربية» .

ولكن جواسيسها فى البلاد العربية ـ كما يقول خبراء آخرون ـ مع عدم وجود سفارات، شحذوا مهارتهم وأجبروا على تطوير وسائل سرية للتغلغل فى المجتمع العربى.

فقد استغل هؤلاء الجواسيس سلاح الجنس على أوسع نطاق، معتمدين على العادات والتقاليد العربية المحافظة، ولجأوا إلى وسائل شيطانية لا تخطر ببال ، فى تهديد وفضح كل من يرفض التعامل معهم .

هذا إلى جانب الأموال الطائلة التى لم يبخلوا بها على الخونة، ليخلصوا فى «خيانتهم» ، وينتزعوا روح الوطنية والانتماء من وجدانهم..!!

المصيدة

فجأة .. ألقى القبض على مكرم الصو، حسبما أشيع، بسبب بلاغ للأمن من مجهول، يتهمه فيه بتدبير جريمة قتل زوجته. وبعد تحقيقات طويلة على مدار عدة أيام لم يثبت ضده دليل واحد .. فأفرج عنه.

ومنذ القى القبض عليه، أوقفت شبكة فيكتور نشاطها وجمدت اتصالاتها.

ومذعورا هرب فيكتور وشاولا إلى البصرة ومنها تسللا إلى ميناء عبادان الإيرانى ، حيث ساعدهما عبد الزهرة - بديل سليمانى - فى اجتياز الحدود.

أما مليكة، فقد رفضت الهرب معهما إلى إيران، وأسرعت هاربة بأوراق مزورة إلى شقيقتها تمرة بالأردن.

وظل ضباط الموساد فى عبادان يتلقطون الأخبار عن مكرم، إلى أن تمكن أحد العملاء من مقابلته، وتأكد لديه أن المخابرات العراقية لا تعلم بأمر الشبكة، وأن إلقاء القبض عليه كان للتحقيق الأمنى بخصوص حادث زوجته المنتحرة ، إثر بلاغ من مجهول يتهمه بأنه القاتل.

كانت الخطة قد أعدت بإحكام، وبات أمر إلقاء القبض على فيكتور وحريمه مرهوناً بثقة رجال الموساد فى بغداد، فى أن اعتقال مكرم كان للتحقيق فى حادث مقتل زوجته لا أكثر، وأنه لابد لأحدهم أن يتصل بمكرم إن عاجلاً أو آجلاً..

وبرغم ذلك تخوف فيكتور من العودة إلى بغداد، لكن زادت عليه الضغوط من الموساد، خاصة وعملاء شبكته يشغلون مناصب مهمة فى بغداد، ودائمى البحث عنه. فعاد ثانية إلى بغداد

هو وزوجته أكثر جبنا ورعبا..!!

وما لم يكن يعلمه فيكتور أو عملاء الموساد فى بغداد، أن مكرم ندم ندما شديدا على خيانته لوطنه.

فعندما كاشفته شاولا بالحقيقة وهددته بالصور الفاضحة، وأظهرت له العديد من الأوراق والمستندات السرية الخاصة بعمله، تملكته الحيرة، وتساءل كثيرا بينه وبين نفسه، عن كيفية حصولها على نسخة منها.

وفى جلسة عاصفة مع نهيرة استدرجها لكى تعترف فأنكرت، ولم يكن يظن أبدا أنه قد يقتلها، وذلك عندما كبلها ــ للتهديد ــ وشدها بحبل يتدلى من السقف .

لكن إصرار نهيرة على الإنكار أصابه بحالة هياج مجنونة، فجذب الحبل بقوة وهو يحثها على الاعتراف فلم يتلق إجابة، بل كان هناك فقط صمت مطبق مع ارتجافه الأطراف المكبلة، ثم خمدت الحركة إلى الأبد.

وبرغم عدم ثبوت أدلة ضده، كان يقوم فزعا كل ليلة وينظر إلى سقف حجرته، ويئن بصوت مكتوم لمشهد الرعب فى عينى

زوجته، وصوت الحشرجة الأخيرة الذى يطارده فى اليقظة والمنام.

لقد أراد مكرم أن يستريح فذهب بنفسه إلى الشرطة وأخبرهم بالحقيقة، ولما ضغطوا عليه ليعرفوا سبب شنقه لزوجته، اعترف تفصيلياً بأمر شبكة فيكتور، وكيفية اصطياده وتهديده. بالتسجيلات والصور.

لكن حدث أن هرب فيكتور وشاولا ومليكة قبلما يتم اعترافه، واتخذت السلطات الأمنية فى الحال التدابير اللازمة لضبطهم، ووضعت لذلك خطة محكمة، تلخصت فى الإفراج عن مكرم لطمأنة أعضاء الشبكة.

هذا ما توقعه رجال الأمن بالفعل. إذ سرعان ما عاد فيكتور وزوجته من إيران لجمع شمل العملاء الذين تفرقوا ، وزارهما مكرم «حسب الخطة المرسومة» .. فأعاد إليهما الأمان، وشرعا فى الاتصال ببقية العملاء من جديد، وكانا خلال ذلك الوقت قد أخضعا لمراقبة سرية صارمة، لمعرفة بقية أعوانهم فى شبكة الجاسوسية.

لا هرب من المشنقة

أما مليكة التى كانت بالأردن.. فقد أقنعت شقيقتها تمرة بالعودة معها إلى العراق بعدما اتصلت بفيكتور واطمأنت منه على استقرار الأحوال هناك .

وعلى الحدود الأردنية ـ العراقية ، ادرك تمرة زوجها الأردنى حانقاً ، ورجع بها إلى عمان واعدا إياها بالذهاب معها إلى بغداد عما قريب.

كانت قوات الأمن تنتظر مليكة ، التى ما أن دخلت الأراضى العراقية ، حتى ألقى القبض عليها دون أن يعلم فيكتور، وظلت خاضعة للتحقيقات شبه المتواصلة لمدة ثلاثة أيام، أفشت أثناءها بكل الأسرار والأسماء.

هكذا وضعت خطوط النهاية ، وعندما اقتحمت قوات الأمن منزل عميل الموساد، كان المشهد غاية فى العجب، فقد كانت شاولا ترقص بغلالة بدت فيها عارية تماماً كمن ولدتها أمها ، وسط ثلاثة عشر رجلاً كانوا يترنحون بفعل الخمر والنشوة .

وفى إحدى الزوايا كان فيكتور يسجل ما سمعه من أفواه «المساطيل» فى عدة صفحات.

وعندما حاول الهرب بالقفز من النافذة، انقض عليه أحد الضباط وطرحه أرضاً، برغم حصار المنزل بعشرات الجنود، ثم اقتيدوا جميعاً لمبنى المخابرات العراقية.

وأسفرت عملية تفتيش المنزل عن ضبط قائمة بأسماء بقية الأعضاء، وإيصالات استلام مبالغ نقدية، وكشوف بمرتباتهم ومكافآتهم، وجهاز راديو خاص يستقبل من خلاله الأوامر، وحقيبة سفر صغيرة تحوى صورا لمواقع عسكرية، ومستندات هامة مختلفة.

وتساءل أحد الضباط فى دهشته :

ـ كل هذا استطاع فيكتور جمعه خلال أحد عشر يومًا فقط ، وهى المدة التى مارس نشاطه خلالها منذ عاد من إيران، برغم أنه كان أثناءها تحت السيطرة الأمنية الكاملة طوال أربعة وعشرين ساعة؟! .

لقد أخطأ الأمن العراقى الذى لم يراع بعض الضرورات الأمنية

الهامة، عندما ترك ملكية «الحامل فى شهرها الرابع» طليقة دون قيد داخل الزنزانة الانفرادية، إذ تمكنت بواسطة نتوء فى الجدار الصخرى من قطع شريان يدها، وانتحرت فى مارس ١٩٦٨ قبل مثولها أمام المحكمة.

وأخطأت الموساد أخطاء فادحة عندما سمحت لعميلها بالاحتفاظ بقائمة كاملة تحوى أسماء أعوانه ، وإيصالات بالأموال التى تسلموها ، وهى أدلة لا تقبل التشكيك وتسهل عمليات التحقيق والاعتراف ، وتقود أيضا إلى حبل المشنقة .

أما فيكتور مناحيم ، فقد حوكم ومعه ستة عشر آخرين ليعدم شنقاً فى نوفمبر ١٩٦٨ ومعه شاولا وثلاثة من اليهود، بالإضافة إلى مكرم الضو.

وبإعدامهم .. لم تتوقف أعمال الجاسوسية الإسرائيلية فى العراق .

فقد كانت شبكة فيكتور مناحيم وحريمه، مجرد سطور قليلة فى ملفات الخيانة، وإحدى عمليات الحرب السرية بين المخابرات العراقية وجهاز الموساد الإسرائيلى..!!

روان بوشـــا



عندما رآها مقبلة هتف فى نفسه :

(يا إلهى .. مـن أى سمـاء أتيـت ؟؟ .. ومـن أى بطن ولدت) ؟..

ومثلمـا قتلتـه عشـقًا .. وخضوعـًا .. قادهـا هـو نفسـه إلى حبـل المشـنقة ، ليخنـق الحـب والجمـال .. والحيـاة. ويسـدل السـتار علـى أغرب قصة حب بين ثعبان وحيـة .. داخـل حجرة الإعدام .. !

السباحة فى الماضى [1]

بانكشاف أمر الدكتور عيزرا خزام وأعوانه ، توالى سقوط شبكات الموساد فى العراق ، نتيجة الخطأ الجسيم فى نظام الاتصال بين الشبكات .

ذلك الخطأ الذى أفاد العراقيين، ومكنهم بسهولة من كشف تسع شبكات دفعة واحدة ، مما أحدث فراغًا مخابراتيًا كبيرًا فى إسرائيل ، بسبب توقف سيل المعلومات عن الحياة المختلفة فى العراق .

لقد ألقى القبض على روءس الأفاعى وأعوانهم، ففضحت اعترافاتهم المذهلة المخططات الإسرائيلية فى المنطقة العربية ، وتكشف لليهود أنفسهم ، إن إسرائيل ما هى إلا دولة الباطل والأكاذيب .

كان (عيزرا ناجى زلخا) أحد هؤلاء الروءس .. واحدًا من أشرس الجواسيس وأمهرهم ، الذين قادوا الصراع بالأدمغة بين

---

(١) نشرت: بجريدة (اللواء العربى) بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٩٨ ، الحلقة رقم (٤٣) ضمن سلسلة حلقاتنا (المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين).

المخابرات الإسرائيلية والمخابرات العراقية .

فهو يهودى عراقى ، ماكر كالثعلب ، وديع كالأرنب ، شرس كالنمر ذوو ألف مخلب ، سهل جدًا أن يتلون كالحرباء وفقًا للظروف والمواقف ، لكنه على كل حال ثعبانى الخطر ، قلما يفلت مخلوق من لدغته .

ولد عيزرا ناجى زلخا بالموصل شمالى العراق أول يناير ١٩٢٧ ، وحصل على شهادة متوسطة أهلته للعمل موظفًا فى أرشيف وزارة التجارة ببغداد .

تعرف بمعلمة يهودية اسمها (ملاذ) فى المعبد اليهودى ، لا تحمل قدرًا كبيرًا من الجمال ، لكنها رقيقة تفيض عذوبة وحنانًا، فأحبها بإخلاص وتزوجا عام ١٩٥٢ ، وعاشا معًا هانئين ترف حولهما السعادة، أن أصيبت فجأة بالحمى التيفودية التى سرعان ما فتكت بها ، ورحلت بعد عام واحد من الزواج ، فعاش عيزرا، حياته من بعدها وحيدًا ، مهمومًا ، منشغلاً عن متع الحياة بالسباحة فى لجج الذكريات .

باقة زهور على قبرها

أشفق عليه نفر من صحبه ، وفى محاولة لمساعدته ليخرج من محنته ، دفع دفعًا للعمل فترة مسائية بأحد المختبرات الطبية ، فاستنزفه العمل ليل ونهار ، لكنه برغم ذلك ، ظل وفيًا لزوجته الراحلة ، لم يغتنم فرصة واحدة للتجاوب مع أية امرأة أخرى تتقرب إليه.

وفى أحد الأعياد اليهودية ، حمل باقة زهور إلى قبرها . استند برأسه إلى جدار القبر ، وهجمت عليه الذكريات كالاعاصير. فاستغرقته تمامًا ، وتلبد حاله لينخرط فى بكاء مرير ، حفرت دموعه الثخينة أخدودين نازفين على خديه .

التفت عيزرا فجأة إلى صاحب اليد الحانية التى تربت على كتفه، فوجد رجلاً هادئ القسمات تعدى الستين من عمره نحت الزمن آثاره على وجهه.

جذبه الكهل فمشى إلى جواره يقص عليه حكايته وأحزانه، فتأثر الرجل وطالبه بالصبر ، ثم أخذ يقص هو الآخر حكايات ومأثورات ليخفف عنه ، بعدها حدثه عن نفسه وعن زوجته

فائقة الجمال ، التى ماتت هى الأخرى فى شبابها وهى تلد ، ولأنه لم يعثر على من تماثلها حنانا وعذبة وجمالاً ، عاش كالراهب فى محراب ذكرياته الرائعة مع حبه الأول والأخير ، واهبًا حياته لابنته الوحيدة التى أنجبها .

كان اليهودى الكهل - واسمه (بوشا) - يعمل تاجرًا متجولاً بين أحياء بغداد الشعبية ، يبيع بضاعته المختلفة بالأجل ، فاشتهر بين النساء الفقيرات اللاتى أقبلن على سلعه ، باسمات فرحات بحديثه العذب ، ومداعباته الرقيقة لأطفالهن .

وكانت زيارة عيزرا لبوشا لأول مرة .. بداية مثيرة لقصة من قصص الحب ، والجاسوسية ، والتوحش .

فبوشا التاجر اليهودى الخبيث والمتوسط الحال ،وقع منذ زمن فى شرك الجاسوسية ، وانضم لإحدى الخلايا السرية التى تعمل لصالح إسرائيل على أمل الهجرة إليها بعد انتهاء مهمته . وكانت مهمته تنحصر فى جمع المعلومات عن فقراء اليهود فى الأحياء الشعبية ، ظروفهم المعيشية ، وأعدادهم ، وتعليمهم ، وحرفهم ، واتجاهات الرأى عندهم فى مسألة الهجرة .

فكان لذلك يكثف من زياراته للأحياء اليهودية ليكتب تقاريره الشاملة عنهم ، ويتردد على القبور لتصيد الأخبار من

أفواه المكلومين ، دون أن تعلم ابنته بنشاطه التجسسى ، أو يحاول هو جرها إلى العمل معه.

وذات يوم ذهب عيزرا لزيارة صديقه الجديد بوشا الذى استقبله بترحاب كبير ، وصارحه بأنه مغتبط لوفائه العظيم لزوجته الراحلة مثله .

ونادى على ابنته ، فأقبلت ..

أقبلت (روان) .. كأنما أقبلت معها رائعات الحياة ، وتجمعت في وجهها الرائق الصافى الساحر .

كالأبله وقف محدقا مصعوقا ، لا يصدق أن هناك من بنى البشر من هى بمثل ذلك الجمال الفتان .

مهر ابنته

مدت يدها مرحبة بالضيف فارتبك عقله ، إذ سلب بريق عينيها النجلاوين ما بقى عنده من إدراك . ولما مسَّت أصابعها يده مست فؤاده .. ووجدانه .. حتى النخاع .

وهتف فى نفسه :

(يا إلهى .. من أى سماء أتيت ؟ ومن أى بطن ولدت ؟ أمثلك يمشى على الأرض مثلنا ويلوك الشعير ؟ !!).

رجع عيزرا إلى مسكنه إنساناً آخر ، يشعر فى قرارة نفسه بأن ابنة بوشا دحرته ، وانتصرت على ذكرى الراحلة . فها هى قدماه تقودانه رغمًا عنه إلى (روان)، وها هو القلب يدق فى عنف وشوق كلما ذكرها فى خياله ، أو جلس قبالها.

إن شرايينه عادت تنبض بالعشق من جديد ، فى تحنان واندفاع وانتعاش ، حتى الحياة كلها من حوله ، تبدلت فيها الصور.. وتجملت .!!

زار بوشا ذات مساء وكانت روان بمفردها .. دعته ابنة السابعة عشرة للدخول فلبى ، وجلس إليها كالتلميذ الغبى البليد الذى يجهل النطق والكلام.

تمنى لحظتئذ أن يصارحها بحبه ، أن يضمها بين أحضانه ويدفن رأسه بين شعرها المنسدل كأستار الليل ، أن يلثم أناملها وراحة يدها ، ويتأمل هذا الجمال الساحر عن قرب .

فى ارتباك وتردد استجمع جرأته وسألها :

ـ روان .. هل تقبلين بى زوجًا ؟

ضحكت كطفلة بريئة ملأى أنوثة ، وقالت له:

ـ إن هذا الأمر بيد والدى لا بيدى.

فصارح بوشا برغبته ، ولحظتها .. ضحك العجوز ساخرًا ، وسأله كم دينارًا يملك مهرًا لها ؟.

فأجابه عيزرا بأنه يدخر ألف دينار ، ولديه سكنًا وعملاً حكوميًا ، وراتبه يفى بمتطلبات الحياة الزوجية.

قهقة اليهودى الذى يدرك مدى هيامه بابنته ، وأخبره أن مهر ابنته الوحيدة عشرة آلاف لا تنقص دينارًا واحدًا .

وجم عيزرا العاشق الموله ، وغادر المنزل مقهورًا ، تسبح روان بدمه وتسيطر على عقله ، وفؤاده ، وأعصابه .

أكاذيب اليهود

مرت به ليال طويلة مريرة وهو يفكر ما العمل ؟

وصدق حدس بوشا عندما زاره عيزرا ملهوفاً، عارضًا ألفي دينار مهرًا لروان .

سأله العجوز اليهودى بخبث عن مصدر الألف الثانية، فقال إنه تقدم إلى العمل بطلب (سلفة) تخصم من راتبه ، ولما رفض طلبه للمرة الثانية ، عرض عليه عيزرا أن يستكتبه صكًا بألف دينار أخرى ، لكن بوشا وافق أن تكون قيمة الصك ثمانية آلاف دينار .. على شرط .

سأله عيزرا عن شرطه الأخير ، فأحكم اليهودى الخبير خنقة الشد ، عندما عرض عليه مساعدته فى إقناع من يعرفهم من اليهود للهجرة إلى إسرائيل . فإن تحديد موعد زواجهما مرهون بمدى ما يبذله من جهد فى هذا المجال .

وبرغم المفاجأة التى أشلت عقله للحظات، وافق عيزرا على الفور طالما أزيلت عثرة المهر ، أما مسألة هجرة اليهود فذاك أمر واجب ولا يعد تضحية فى نظره.

فالدولة اليهودية كانت عبر إذاعتها العربية ، تبث دعايتها ليل نهار بأحقية يهود العالم فى أرض الميعاد .

وهو كيهودى .. تمنى أن يسافر لإسرائيل ليراها فقط قبل أن يقرر الهجرة النهائية إليها.

فالدعاية المضادة فى الإعلام العربى ، كانت تصف إسرائيل بأنها دولة الإرهاب والمذابح والعنصرية ، وتصور الحياة بها كأنها الجحيم بعينه ، وتنشر الكثير من الحوادث والأخبار ، تفضح ادعاءات إسرائيل التى واجهت كل ذلك بالرفض والاستنكار ، متهمة الإعلام العربى بأنه يكذب ، ويدعى ، ويتحايل ، لخداع اليهود ، والكذب عليهم ليحجموا عن الهجرة.

صور مهتزة

كانت الحرب الدعائية بين العرب وإسرائيل في حالة غليان لا يتوقف . وكان إيمان عيزرا ناجى زلخا بقضية الوطن ـ إسرائيل ـ مزعزعًا ـ إلى حد ما ـ فهو ما عرف سوى العراق وطنا .. آمنا ، يضم عشرات الآلاف من اليهود على أرضه ، وينعمون جميعًا بالحرية وبالأمن منذ أحقاب طويلة موغلة فى التاريخ .

وتساءل فى حيرة :

ـ لما لا تكون إسرائيل صادقة فيما تدعيه ؟؟ إن اليهود عاشوا على أرض فلسطين منذ آلاف السنين ، ولهم حق تاريخى فى فلسطين .

فلماذا يحاربهم العرب ؟

وتساءل أيضاً:

ـ إذا كان هذا هو المنطق السليم فمعنى ذلك أن إيران لها حق تاريخى فى العراق ، وما الذى يمنع تركيا مثلا من المطالبة بأجزاء واسعة من العالم العربى ، تلك الأجزاء التى كانت خاضعة

للسلاطين العثمانيين على مدى قرون من الزمن[1] .

وينطبق هذا أيضا على كل الدول والشعوب القديمة التى استولت على أراضى الغير بالغزو أو الاستيطان.

وبرغم أن المنطق لم يكن مقنعاً بالمرة حول هذه القضية ، إلا أن عيزرا لم يشأ أن يرهق عقله بهذه الأمور ، ذلك لأن روان كانت قضيته الكبرى..

فماذا كان سيفعل..؟

ثم ماذا سيخسر ليكسب روان ؟

إن مجرد (إقناع) بعض اليهود بالهجرة ليس بالأمر الصعب . فالفقراء الذين سيتكلم معهم ، يشعرون بالضيق لسوء أحوالهم المعيشية ، وقد يروا فى الهجرة إلى الدولة اليهودية الجديدة مخرجًا لهم من أزمتهم.

إذن .. ماذا سيخسر ؟

هكذا استطاع بوشا اصطياد عميل جديد للموساد ،، يعمل (مجانًا) عن قناعة .. واثقًا من إخلاصه للعمل ، لكى يفوز بابنته الرائعة بعد ذلك!!

فى تلك الفترة التى تأهب فيها عيزرا للعمل .. حدث انقلاب

(١) الفريق أول خالد بن سلطان بن عبدالعزيز : مقاتل من الصحراء ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

كبير على الساحة العربية . إذ وقع العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، واحتلت إسرائيل شبه جزيرة سيناء ، وبتدخل الولايات المتحدة ومجلس الأمن انسحبت الجيوش المعتدية .

كان احتلال سيناء أمرًا مدهشًا لليهود العرب ، فقد ارتابوا كثيرًا من قبل فى قدرة الجيش الإسرائيلى على مواجهة الجيوش العربية ، وتراجعوا عن فكرة الهجرة ، ثقة فى القوة الرادعة العربية .

أما وقد حدث العدوان واحتلال سيناء ثم الانسحاب.. فقد اهتزت الصور ..

إذ اعتقد أكثر اليهود فهمًا لأمور السياسة ،أن العرب فوجئوا بالقوة العسكرية الإسرائيلية .. وهم بلا شك يستعدون ، ويتحينون الفرصة المناسبة لضرب إسرائيل والقضاء عليها بعدما أصبحت خطرًا على المنطقة كلها .

هذا الرأى انتشر كانتشار النار فى الهشيم بين اليهود العرب فى سائر الأقطار.

وبدلاً من الثقة فى القدرة العسكرية اليهودية ، انعكس الأمر ، وتحول احتلال سيناء إلى نكسة مدمرة لاستراتيجية إسرائيل السياسية والعسكرية .. فتراجع أكثر اليهود تعصبا عن رأيهم ،

وبالتالى .. أخفقت محاولات استخباراتية وإعلاميـة كثيرة للتأثير على اليهود وحثهم على الهجرة .

لهذا تعمدت الاستخبارات الإسرائيلية إذاعة حديث إبرهام دار بطل عملية (توشيا)[1] - وهى أجرأ عملية قام بها لتهريب ٦٥ يهوديًا من بور سعيد إبان العدوان الثلاثى - وكان المقصود بإذاعة حديثه عبر البراديو لعدة أيام مغزى مخابراتى .

واكب ذلك مقتل تاجر يهودى عراقى بيد لصين اقتحما داره بدافع السرقة.. وأشاع عملاء الموساد أن العملية مدبرة لبث الرعب فى قلوب اليهود العراقيين ، وحثهم على قبول فكرة الهجرة إلى إسرائيل .

---

(١) إبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، تمكن ضابط المخابرات الإسرائيلى إبرهام دار من تهريب (٦٥) يهوديًا مصريًا عبر بور سعيد إلى إسرائيل ، بمساعدة يهود محليين، وسجلت له الإذاعة الإسرائيلية حديثًا وصف فيه مغامراته لإنجاز عملية (توشيا) وما انتهت إليه.

خريج مدرسة الموساد

انتهز بوشا حادث مقتل اليهودى لإثارة حمية عيزرا .. وتهيئة المناخ النفسى لإيقاظ حماسته ..

فانفعل عيزرا بغريزته كيهودى حامل لفيروس الخيانة، وأخلص كثيرًا فى عمله.

وإن هى إلا شهور قليلة حتى كان رصيده اثنتى عشرة أسرة يهودية ، تمكن من إقناعها بالهرب إلى إيران .. ومنها إلى إسرائيل . ورحلات الهرب كثيرًا ما كانت تبدأ من الشمال الشرقى ، وفيها يقوم بعض العملاء من الأكراد بدور رئيسى وفعال . إذ يقودون الهاربين عبر الجبال ، والسهول ، والممرات ، إلى الحدود الإيرانية.. حيث يتعهدهم حرس الحدود وضباط الموساد .

هكذا ابتدأ عيزرا العمل ، يداخله إحساس بالبطولة ، والفخر بقدراته الخداعية التى مكنته من مؤازرة إسرائيل .. فاستهوته اللعبة الخطرة المصيرية .. وقطع فيها شوطًا منحه الثقة فى ألا يتراجع .

لذلك كافأه بوشا بحق عندما زوجه روان .

أيام جميلة وعيزرا فى العسل يحسو النعيم دفقاً سحرياً رائعاً..

ويخوض بحور اللذاذات سباحة وغرقًا بين أحضان عروسه .. ولم تكد تمر فترة وجيزة حتى مات بوشا .. فمات بالتالى الدين الذى صكه .

وأثناء تشييع جنازته ، اقترب منه رجل لا يعرفه .. همس له ببضع كلمات واختفى.

وعاد عيزرا إلى منزله تشوبه ملامح القلق . وسألته روان عما بداخله، فصارحها بأمر أبيها ومعاونته له فى تهريب اليهود .

- (إذن أنت بطل) .

هكذا كان تعليقها وهى تعانقه ، وتفجر القنبلة التى كان يمسكها بيده عندما قالت:

- كنت أعرف .

لقد اختصرت الطريق عليه .. وطالما هو بطل فى نظرها فكل شئ يهون .

وفى مقهى قاسم جاءه الرجل الغامض .. منحه خمسمائة دينار وطلب منه ان يتلاقيا بعد أسبوع فى ذات المكان والساعة، وإن لم يجئ إليه فعليه انتظاره فى الموعد نفسه الأسبوع التالى أو الذى بعده.

كذلك اتفقا على كلمة سر فى حال حدوث أية ظروف أو مستجدات.

كان الرجل بالطبع أحد عملاء الموساد فى العراق .. مهمته تدريب الجواسيس الجدد ، ومتابعتهم كحلقة اتصال، وحصد المعلومات منهم خلال مقابلات تم الاتفاق عليها وعلى أماكنها التبادلية ومواعيدها.

توالت لقاءاتهما بأماكن مختلفة ببغداد ، و داخل أحد البيوت الآمنة أخضع عيزرا لدورات فى فنون التجسس . وفى غضون مرحلة قصيرة تعلم الكثير .. وأقبل على مهمته فى شغف بالغ وقد تخرج فى مدرسة الموساد جاسوسًا مدربًا ملمًا بهذا العالم المثير العجيب .. عالم الجاسوسية.

لقد انصب عمل عيزرا على تكثيف جهوده لتهريب يهود العراق .. وفى خلال عامين تمكن من تهريب أكثر من أربعمائة منهم إلى عبادان عبر شط العرب .. وسلك فى ذلك أساليب شيطانية أنجحت مهمته ، برغم التواجد الأمنى العراقى المشدد ، فأصبح بذلك أمهر جواسيس الموساد فى بغداد .

حرية تقدير الموقف

وبينما عيزرا يتقدم فى عمله بنجاح ، كانت روان مشغولة عن آخرها بأمر فشلها فى الإنجاب ، يملؤها الحنين إلى طفل يضئ حياتها .

وبرغم صمت زوجها وعدم اهتمامه بالأمر لانشغاله ليل نهار بالعمل، إلا أنها سعت للأطباء ، واهتمت بالوصفات الشعبية دون فائدة . فأكلها الهم ومزقها الأسى ، وحدثتها نفسها أن تفاتح زوجها برغبتها فى الهرب معًا لإسرائيل ، حيث تداولت الأقاويل فى محيطها اليهودى إمكان علاجها هناك .

لقد ظلت كثيرًا تقلب هذه الفكرة فى رأسها إلى أن تشجعت وعرضت الفكرة عليه ، فثار رافضًا فى البداية، ثم عاد وطلب منها الانتظار حتى (يأذنوا) له بالهرب .

وانتهز الفرصة وتكلم مع مندوب الاتصال الذى يلتقى به فى مواعيد محددة . فطلب منه هو الآخر مهلة ليعرض الأمر على مندوبين آخرين يمكنهم إيصال رغبته إلى رؤسائه فى الموساد .

بالطبع لم يكن من السهل على الموساد أن تسحب عيزرا بعدما أتقن عمله وأجاده بحرفية عظيمة .. فعملية سحب العملاء تخضع لحسابات معقدة أهمها أن تصل درجة ثقة العميل فى

نفسه إلى حد الغرور .. نتيجة الثقة الزائدة فى قدراته ، والاستخفاف بقدرات رجال الأمن فى القطر الذى زرع فيه مما قد يوقعه عندئذ فى خطأ فادح يكشفه .

وبخصوص عيزرا لم تكن الموساد قد وصلت إلى حد الخوف عليه بعد . فالمنتظر منه كان لايزال آتٍ بالطريق .. ولابد من استغلاله و (استهلاكه) قبل الإذن له بالتوقف ، أو السماح له بالمغادرة.

جاءه الرد كما كان متوقعًا .. فحزن كثيرًا لأجل روان التى أحبته وودت أن تنجب منه طفلاً . وتملكه الزهو عندما أعلم بأنه منح رتبة عسكرية فى الجيش الإسرائيلى، تضمن له ولأسرته معاشًا محترمًا عندما ينتهى من مهمته ويفر إلى إسرائيل .

ومرة أخرى أخضع لدورة تدريبية جديدة لتعلم كيفية استعمال اللاسلكى فى الإرسال، بعدها سلموه جهازًا لاسلكيا متطورًا .. قيل له إنه لا يمكن رصده بأجهزة تتبع الذبذبات[1] التى لم تكن موجودة أصلاً بالعراق .

بذلك .. وثق عيزرا فى أهمية دوره التجسسى لخدمة مصالح

---

(١) يطلق اسم «صائد الموجات» على الجهاز الذى يمكنه التقاط إشارات البث اللاسلكية وتحديد اتجاهها، وحتى اليوم لم يبتكر جهاز لاسلكى يفشل «صائد الموجات» فى اصطياده..!!

إسرائيل فى العراق، فطور كثيرًا من مهامه التجسسية لتشمل أيضا جمع التقارير الاقتصادية المهمة ، تلك التى كان يمكنه أن يحصل عليها كموظف فى وزارة التجارة.

أيضا نجح فى تنمية علاقاته ببعض المسئولين العراقيين ، وطلب الإذن من إسرائيل بتجنيد ما يراه منهم فلم يأذنوا له . فبقدر ذهول مرءوسيه فى الموساد لمهارته فى البث اللاسلكى .. أذهلهم أكثر تغلغله داخل فئات المجتمع العراقى وشرائحه المختلفة، وإرسال تقارير غاية فى الأهمية عن الاقتصاد والزراعة، حتى أصبحت المعلومات التى يبثها إلى تل أبيب تقيم فى الفئة (أ) التى تستحق عن جدارة مكافآت مالية ضخمة أتخمت بها جيوبه وبدلت نظام حياته وإنفاقه .

أشفق عيزرا على حال زوجته المهمومة التى انزوت تهرسها همومها هرسأ بسبب حنينها إلى طفل . فعرض عليها من باب (التسرية) مشاركته فى العمل السرى طمعًا فى المزيد من أموال الموساد .. وكان المطلوب منها أن تبدى بشاشة لموظف بوزارة الخارجية صادقه أخيرًا .

بدت المهمة صعبة فى البداية ، فهى لم تعرف بعد حدود تلك البشاشة ، إذ ترك لها عيزرا حرية تقدير الموقف بنفسها .. وهذا يعد إذنا لها بأن تمشى فى الطريق إلى نهايته .

الشـــركاء

ببساطة الأنثى المثيرة أوقعت الموظف المسيحى فى حبائلها .. وأوهمته بأنها تحبه ، لدرجة أنها أصبحت لا تفكر بالهرب إلى إسرائيل من أجل أن تظل إلى جانبه .

انزعج (كامل) عند سماع اسم (إسرائيل) . ولكى تذهب بعقله وتشل حدود تفكيره ، أسلمت له نفسها فانزلق بين أحضانها نشوانا .. لا ينفك يطلب المزيد والمزيد . وهل امرأة صغيرة رائعة مثلها يشبع منها الرجل ؟ أو يفيق من سكره ؟

ففى غيبة الإدراك أعلنها صريحة بأنه معها فى أى مكان .. ولو فى إسرائيل . ولما تأكدت من إتمام سيطرتها على إرادته .. طلبت منه الثمن .. ثمن دخولهما معاً إلى إسرائيل .. فتدفقت الوثائق والتقارير من أرشيف الوزارة السرى . وكلما سلمها عشرات الوثائق الخطيرة ادعت بسخرية تفاهتها .

ومرت بهما الأيام حتى قل حديثهما عن العشق والحب والهرب.. وانشغل كامل بالحديث عن مغامراته الأسطورية لجلب الوثائق السرية .

لقد أدرك كامل بأنه وقع لأذنيـه فـى بئر الخيانـة .. فـانغمس غصبًا عنه لا يستطيع التراجع .. أو الخلاص .

واستلذت روان اللعبة .. والمغامرة ، والقتل بسلاح أنوثتها ، إنـها لعبة مثيرة ترضى غرورها .. وتبعدها عـن التفكير فـى الانجاب . فانساقت فى الطريق وقد استهواها العمل واستغرقها .

أمـا عـيزرا، فلـم يضيع وقتـا طويـلاً فـى الثنـاء علـى شـريكته الجديدة، إذ كلفها باصطياد ملازم أول بمطار بغداد مغرور ببزتـه الرسمية، وبالسيارة الحكومية التى تذهب به وتجيئه كل يوم .

ولأنه يسكن بالمنزل المواجه .. كان الأمـر هينـا جـدًا .. فعندمـا أشهرت روان أسلحتها الأنوثيـة الفتاكـة فـى وجهـه ، استسلم لها .. وتقرب إلى عيزرا الـذى هيـأ لـه المنـاخ الصحى للسقوط .. فسقط الشاب الصغير بلا تفكير ..

هكـذا تدفقـت مـن خلالـه المعلومـات الأكـثر سـرية عـن المطـار وخطائره وممراتـه الجانبيـة، وطـائرات الشـحن المحملـة بـالمعدات العسكرية ؛ التى تفرغها بداخل حظائر خاصة تخضـع لإجـراءات أمنيـة صعبـة ، وكـذا، أعـداد الخـبراء السـوفييت والتشـيك الذيـن يتوافدون ويغادرون، وأيضاً، المزيد مـن المعلومـات حـول الرحـلات السرية لطائـرة الرئـاسة .

براكين من الفور

معلومات أشد سخونة وأهمية كان يبثها عيزرا فتثير شهية الإسرائيليين..

وتدهشهم أيضا جرأة عميلهم الذى امتلك قلبًا صلبًا من فولاذ.. لا يقهره خوف .. أو يرتجف رعبًا إذا ما قرأ بالصحف العراقية عن سقوط جواسيس للموساد أو إعدامهم .

كانت التحذيرات تجيئه من الموساد آمره إياه بألا يقرأ تلك الأخبار (الكاذبة) التى يروجها العراقيون .

لكنه وقد اغتر بنفسه لم يكن يهتم بتلك المخاوف ، بل كان يقرأ ليستفيد من الأخطاء التى أدت لسقوط الجواسيس ، فيتجنبها ؛ وتتضاعف بذلك خبراته .. وثرواته .. بفضل حسه الأمنى .. وبالمعلومات الثمينة التى يتحصل عليها بفضل جسد زوجته.

فقد أخبرهم فى إسرائيل بأمر انضمام (روان) إلى العمل .. وقدرتها الفائقة على السيطرة وتجنيد عملاء جدد . فكان ردهم بأنهم يقدرون ذلك .. وأن روان قد تم منحها هى الأخرى رتبه

ملازم أول فى جيش الدفاع الإسرائيلى[1] .. تقديرًا لتعاونها المشرف فى خدمة الوطن الجديد !!

ولأسباب أمنية بحتة.. اشترى عيزرا منزلاً جديدًا من طابق واحد فى حى الكاظمية .. كان بالمنزل حديقة خلفية ذات أشجار كثيفة .. وبابا يؤدى إلى منطقة مهجورة مهملة مليئة بالأحراش . وبواسطة نظارة ميدان كان (يمسح) المنطقة المحيطة المؤدية إلى منزله قبل خروجه .. وقبل زيارة أى عميل مهم.

هذا المنزل تحول إلى غرفة عمليات خطيرة .. تتم فيه عمليات السيطرة على من يراد تجنيدهم .

وخلال ثلاث سنوات من انخراط روان فى الجاسوسية ، استطاعت وحدها تجنيد ثلاثة عشر موظفًا عامًا فى مواقع مهمة . أربعة منهم ضباط برتب مختلفة فى الجيش العراقى .. وضباط بأمن المطار .. وستة أخرين يشغلون مناصب إدارية بالوزارات المختلفة .

جميعهم سقطوا فى قبضتها بفضل لغة الجسد والدلال

---

(١) هذه الرتب العسكرية التى تمنح للجواسيس عبارة هن تقدير معنوى لا أكثر.. وإذا كانت الدعاية الصهيونية تروج لمثل هذه الخدمات، فانشراح موسى هى المثل الحى لكذب الإسرائيليين. أنظر كتابنا «الملازم أول دينا عمر.. جندها زوجها فجندت اولادها الثلاثة» عن دار أطلس بالقاهرة

والجمال والإثارة .. وتدفقت بواسطتهم أسرار العراق أولاً إلى إسرائيل.

وحدث أن نصبت روان شباكها حول طبيب بالجيش يحمل رتبة نقيب، وكانت الخطة هى استدراجه بواسطة أحد العملاء لتوقيع الكشف على زوجها..

يومها ، تهيأت الحية الرقطاء وبدت كأن الفتنة كلها حلت بذاك الجسد .. وطابت ثماره شوقًا لقاطفها .

ولما جاء الطبيب العازب تسمر مكانه .. وبدا كطفل جائع تتلوى أعضاؤه وترتجف ..

فثوبها العريان لم يخف من مفاتنها أكثر مما كشف . وجسدها الأملود كان ينادى : أيها الجائع المبهوت لما تقف؟.. هيا .. تذوق اللذاذات براكين من الفور .. قناطير من النعيم السرمدى ، والقطف .!!

وطنى أكثر من اللازم

وكمثل سابقيه .. فقد الطبيب مقاومته وغرق فيها عشقًا وذوبانًا.. وشوقًا إلى رجفة الذروة .. فلم تكن تمنحه إلا بمقدار .. حتى تجئ اللحظة التى يفقد فيها العقل تمامًا ، وحينئذ تبدأ معه المبادلة .. فكل شئ له مقابل .. وثمن .

ولما جاءت لحظة المكاشفة .. والسقوط .. لم يصدق النقيب الطبيب «حسين على عبد الله» أنه بين أحضان جاسوسة محترفة فى وكر للجواسيس ، فانتفض بين أحضانها الأفعوانية وقد غاصت نشوته، وقام فزعًا يرتدى ملابسه ويتوعدها بمصير مظلم.

هددته بتسجيلاته الجنسية معها فرد عليها بأنه رجل ولا عار عليه فهى تؤكد رجولته.

هددته ثانية بما تفوه به فى السياسة والعسكرية وأن مستقبله بيدها . فبصق عليها قائلاً إنهم سيكافئوه بالترقية لأنه سلمهم جاسوسة إسرائيلية.

وهجم عليها محاولاً تكبيلها واقتيادها للسلطات ، لكنه فوجئ بعيزرا أمامه يشهر مسدسه .

أحس بخطئه الكبير كرجل عسكرى ، فقد كان من المفروض مسايرتها حتى يخرج من بيت الأفاعى ، لكنه (كان) يعتقد أنهما بمفردهما .

لم يترك له عيزرا فرصة للتعامل معه . بل انطلقت الرصاصات إلى رأسه ، وتناثرت شظايا عظام جمجمته على جدران الغرفة .

صرخت روان فى هلع .. وكتمت صراخها عندما حملق فيها عيزرا غاضبًا بعينين ترسلان نظرات نارية ، فتكورت ترتجف فى أنين خافت .

أخذ عيزرا يسبها فى غضب لأنها عجزت عن السيطرة عليه كسابقيه .. وتسرعت كثيرًا فى مكاشفته ثقة فى جمالها .

وبخوف يشع رعبًا دافعت عن نفسها ، مؤكدة له بأنها طوعته جيدا لكنه (وطنى مخلص أكثر من اللازم).

استمرا طوال الليل يحفران قبره فى الحديقة الخلفية .. ثم أهالا التراب فوق الجثة .. وبعد أن نظفا المكان من آثار الدم المتجلط، انكمشت روان يفتك بها الهلع .. فهى تنام بين أحضان قاتل .. وعلى بعد خطوة من فراشها .. يرقد قتيل .

مطلوب اصطياد طيار

حلت الكآبة بالحية تفتت عقلها .. لكن الثعبان السام لم يكن ليستسلم .. فالمجد ينتظره فى إسرائيل .. وهو الآن يصنع تاريخه.

ومضى الجاسوس الداهية فى طريقه قدمًا تحفة الثقة ويملؤه الغرور . تسع سنوات كان لا يكل ولا يخاف .. وأعوانه منتشرون فى أغلب مؤسسات العراق الحيوية .. يمدونه بما يذهل الإسرائيليين من معلومات غير متداولة عن أحشاء العراق ، وشرايين الحياة المختلفة به.

وفى إحدى رسائل التكليف التى تلقاها من تل أبيب بواسطة الراديو .. كان الأمر مختلفًا عليه . فقد كان المطلوب تجنيد طيار عسكرى عراقى ـ وبأى ثمن ـ يقبل الفرار بطائرته الحربية ميج ٢١ إلى إسرائيل .

بدأ عيزرا رحلة البحث عن طيار خائن .. ومن خلال الخونة العسكريين أعضاء شبكته ، تعرف عيزرا ـ بشكل يبدو عفويًا ـ بالنقيب طيار شاكر محمود يوسف[1] المولود فى (محلة حسن

---

(١) تفاصيل الحرب السرية الشرسة لاختطاف الميج٢١ السوفيتية الجبارة ، جاءت بكتابنا: (العملية 007) وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل .. وجاء بالكتاب أيضا سرد تفصيلى لعملية اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة ، شاكر=

جديد باشا) عام ١٩٣٦ ، وسبق له أن التحق بدورات تدريبية فى موسكو ولندن لزيادة كفاءته كطيار للميج ٢١ القتالية الاعتراضية التى ترعب إسرائيل .

التقى عيزرا وزوجته بالطيار العراقى فى إحدى الحفلات .. وحاولت روان بأسلحتها الأنثوية الطاغية أن تلفت انتباهه لكنه تجاهلها ..

فاغتاظت وتملكها الضيق وشكت فى أنوثتها التى ذبلت وتناولتها أياد كثيرة.

حتى إذا ما استجمعت ذاتها بعدها بأيام ، أعلنت عيزرا بقرار اعتزالها مهمة اصطياد عراقيين جدد .

لكنه فاجأها ذات مساء حينما جاء وبرفقته شاكر . وأسر لها بأن الطيار الشاب تجاهلها فى الحفل لوجود زوجته معه . وأن (الوسيط) استدرج شاكر ورأى منه الرغبة فى التعرف إليها .. لذلك تظاهر بمصاحبته وبدأت الاتصالات بينهما .

= يوسف ، وحامد ضاحى ومحمد رغلوب ، بعد فشل عملية تجنيدهم للهرب بالطائرة إلى إسرائيل .

أوامر بالقتل

وما كادت روان تسترجع من جديد ثقتها فى جاذبيتها وسحرها .. وتوشك أن تسيطر على أعصاب الطيار الولهان ، حتى فوجئت به وقد سافر إلى الولايات المتحدة للحصول على دورة فى (قيادة التشكيل) فى تكساس .

هناك تولت المخابرات المركزية أمره .. فدفعت بحية أخرى فى طريقه .. جئ بها خصيصًا على وجه السرعة من النمسا حيث تعمل كممرضة بالمستشفى الأمريكى بفيينا .

إنها (كروثر هلكر) .. فاتنة الحسن طاغية الجمال .. والقنبلة البشرية التى عملت كمشرفة فى نادى الطيارين الشرقيين فى قاعدة التدريب الجوية بتكساس .

نصبت (هلكر) شباكها حول شاكر يوسف فوقع فى حبائلها لا حول له ولا قوة . فقد كان يريدها عشيقة طوال فترة وجوده بأمريكا ، بينما كانت تريده زوجًا لتكتمل الخطة.

رفض رغبتها بالطبع لأنه متزوج ويحب زوجته .. لكنها لم

تيأس .. وظلت تحاول .. مرات ومرات إلى أن فشلت .. ووضح جيدًا جهل الموساد والـ CIA، فالعسكريون العرب محظور عليهم الزواج بأجنبيات .

لكن تملكت الإسرائيليين والأمريكان رغبة عارمة فى السيطرة عليه وتجنيده .. ليهديهم سر أسرار الطائرة السوفييتية اللغز .. ولما عاد إلى بغداد دون أن يحقق حلمهم .. طارت كروثر خلفه ونزلت بفندق بغداد الدولى واتصلت به .

ولأنها حضرت خصيصاً لأجله، تحرج كشرقى واستأجر لها شقة مفروشة بمنطقة الكرادة الشرقية تطل على نهر دجلة . وأخذ يتردد عليها خفية ، محاولاً إقناعها بالعودة إلى بلادها لأنه متزوج ويعول طفلاً، فلم تنصت إليه .

وعندما حدثته عن (منظمة السلام العالمى) المهتمة بنشر السلام حول العالم ، صرخ فيها قائلاً إنه طيار عراقى لا علاقة له بالسياسة الدولية أو السلام العالمى، وهددها بأن تسافر فورًا خارج العراق ، وإلا فهو مضطر لإبلاغ السلطات بسعيها لتجنيده لصالح جهات أجنبية .

عند ذلك .. ولأنها تحمل تصريحًا بالقتل ، رأت أنه لابد من

تصفيته فى أسرع وقت خشية افتضاح الأمر، فتنكشف بذلك نوايا الأمريكيين والإسرائيليين . وكنتيجة لذلك يمنع الطيارون العرب الذين أوفدوا فى بعثات تدريبية للخارج من قيادة الميج ٢١، وصدرت الأوامر صريحة واضحة لعيزرا ناجى زلخا، بالتخلص من النقيب طيار شاكر يوسف.

جثة فى بطانية

وهنا قد يتساءل البعض :

ما علاقة عيزرا جاسوس الموساد بكروثر هلكر جاسوسة الـCIA؟

الإجابة بسيطة جدًا .. فالموساد والـCIA ترتبطان معًا بعلاقات وثيقة ترسمها المصالح والنوايا المشتركة . وسواء جند طيار عربى بواسطة الموساد أو بواسطة الـ CIA فسوف يهرب بطائرته إلى إسرائيل . ليفحصها الأمريكان .

من هنا .. لجأت الـCIA لمعاونة الموساد فى تصفية شاكر بواسطة عملائها، فبثت الموساد أمرًا عاجلاً لعيزرا بالاتصال بكروثر التي تجيد العربية . وتم الاتفاق بينهما على الخطة.

وأثناء زيارة النقيب شاكر الأخيرة لهلكر بالشقة المفروشة ، عمد كما فى المرات السابقة إلى ترك سيارته على بعد شارعين تحسبًا لأى طارئ ، واحتدم النقاش بينهما فهددته بأفلام وصور جنسية أخذت لهما فى أمريكا فلم يهتم .

وفى أخر محاولة لإبقائه حيًا ، عرضت عليه مليون دولار ثمنا لطائرة ميج ٢١ يفر بها لإسرائيل .. فلطمها على وجهها لطمة قوية انبثق لها الدم من فمها .

وقبل أن يخرج من الحجرة ثائرًا لإبلاغ السلطات ، فاجأه عيزرا بطلقات مسدسه الكاتم للصوت ، فسقط شاكر فى الحال قبلما يتمكن من استعمال مسدسه .

وبينما هلكر تعد حقيبتها للحاق بالطائرة المتجهة إلى لندن ، انشغل عيزرا بإزالة الآثار والبصمات . وجر جثة الطيار لأسفل السرير ملفوفة ببطانية .. ثم فتح أجهزة التكييف[1] وغادر الشقة.

اكتشفت الجثة فى ٦ يوليو ١٩٦٥ بعد وقوع الجريمة بأسبوع.

---

(١) فتح أجهزة التكييف القصد منه سحب رائحة جثة الطيار القتيل أولاً بأول ، فتطول بذلك مدة اختفائه ، مما يعطى الفرصة الكافية لهروب القتلة قبل اكتشاف الجريمة.

كان عيزرا فى ذلك الوقت يمضى أسوأ أيام حياته على الإطلاق . إذ نشرت الصحف العراقية نبأ مقتل الفتاة الأمريكية الحسناء كروثر هلكر بأحد فنادق لندن فى ظروف غامضة ، وذلك بعد يومين من مغادرتها لبغداد ، وصرح مسئول فى سكوتلانديارد بأن الجثة وجدت ممزقة ، وبأماكن مختلفة منها وجدت ثلاثون طعنة بعدد سنين عمرها ، القاتلة فيها كانت فى الرقبة.

هكذا تخلصت الـCIA من كروثر لإخفاء معالم الجريمة إلى الأبد .

فماذا عنه هو ؟

كان هذا هو السؤال المحير الذى لا يعرف عيزرا إجابته .

أبناء الثعبان والحية

دارت الدنيا بعيزرا وضاقت به على وسعها . وصور له خياله أن الموساد سوف تقتله أيضا سترًا للجريمة .. وما كان يعلم أن قتل العملاء بعد انتهاء مهامهم السرية أسلوب اشتهرت به وتستخدمه الـCIA فقط .

أما الموساد فالجواسيس لديها بمثابة خونة حقراء ، تنبذهم

بمجرد انتهاء مهامهم ، وربما ، لأغراض دعائية وتشجيعية ، تتعامل معهم كأنهم أبطال عظماء تفخر بهم وتخلدهم[1] ، وهذا يتم فى أضيق الحدود .

لم يكن عيزرا يعلم ذلك عندما سيطر عليه الخوف بكل أطيافه ، فعطل جهاز اللاسلكى، واختبأ بأحدى الشقق لا يخرج هو أو روان إلا للضرورة .

وبعد احتفالات رأس السنة الميلادية.. وما إن هلت أيام يناير ١٩٦٦ الأولى ، حتى انكشف أمر شبكة عيزرا ضمن الشبكات التسع المتساقطة دفعة واحدة[2].. وجرى البحث عنه وتعقب أثاره فى كل العراق .

كان يجهل أمر البحث عنه من قبل جهاز المخابرات ـ المكتب الثانى ـ فعلاقته بأعوانه كانت منقطعة طوال تلك الشهور الخمسة.

ولأن المجرم دائمًا يحوم حول مسرح جريمته ، تصادف أن

---

(١) كنوع من التكريم تطلق الموساد لقب «أمير» على كل جاسوس قدم تضحيات جليلة لإسرائيل، لكنها فى الواقع تتعامل مع من انتهت خدماته على أنه «حقير» لا «أمير»، وهذا الأمر ينطبق فقط على العرب الذين يخونون بلادهم.. فهم لا يأمنون إليهم بعد ذلك ويعاملونهم بازدراء شديد وهناك عشرات القصص التى تؤيد ذلك.

(٢) للمزيد عن شبكات التجسس الإسرائيلية فى العراق ، انظر الفصل الثانى من كتابنا: (جواسيس الموساد العرب) .

توجه عيزرا وروان لمنزل الكاظمية حيث يخبئ أدوات التجسس . فاطمأن على وجودها فى مكانها .

و فى المساء ذهب وحده إلى منزل بوشا القديم . فنام مرهقًا حتى الفجر . ولما أفاق أسرع بالعودة إلى روان مرة أخرى وما كان يدرى بما ينتظره .

ففى غبش الفجر اقتحمت المنزل قوات الأمن ، وكانت روان بمفردها كالشبح ، متكورة بركن حجرتها كجنين ببطن أمه .. فلم تبد أيه دهشة أو تصعق للمفاجأة .

سألوها عن عيزرا قالت بهدوء :

- (لن يتأخر) .

واعترفت من تلقاء نفسها بأنها جاسوسة للموساد، استطاعت أن تجند جيشا من اليهود العراقيين وسائر الملل بالغواية والجنس. كما أرشدت عن مقبرة الضابط الطبيب بالحديقة الخلفية..

ثم قادتهم بهدوء إلى مخبأ سرى فى تجويف أرضى ، وجد بداخله جهاز اللاسلكى المعطل وكتاب الشفرة وعدة كاميرات دقيقة ، إضافة إلى بعض الوثائق لم تبعث بعد للموساد .

كانت سيارات الأمن قد اختفت من المكان الذى بدا طبيعيًا . واختبأ عدة ضباط وجنود بداخل المنزل والحديقة ينتظرون الثعبان الكبير .

وما هى إلا فترة وجيزة حتى جاء مترنحاً بفعل الخمر والخوف، وما إن خطا خطوات قليلة إلى الداخل حتى هوجم وكبل فى الحال.. واقتيد إلى مكان سرى للاستجواب .

أمام المحققين وبدون ضغوط اعترف عيزرا تفصيليا بنشاطه لمدة عشر سنوات لصالح الموساد . وسدت اعترافاته ثغرات عديدة كانت تحول دون الوصول لبقية الشبكات.

وبينما هو بالقفص ، بانتظار سماع الحكم بإعدامه وروان شنقًا مع تسعة أخرين ، وبالرصاص لخمسة عسكريين ، نظرت إليه زوجته وقد أكلها الهزال وبرزت عظام وجهها ، وقالت له بمرارة إنها تشعر بالأسف على كل شئ .. لكنها سعيدة جدًا لعدم إنجابهما لأطفال يتعذبون من بعدهما طوال حياتهم .. حيث سيصيح الناس فى كل شوارع بغداد عندما يرونهم :

ـ هؤلاء أبناء الثعبان والحية!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com